الرؤيا وأثرها في حركة التاريخ الاسلامي من (١٣٢-٢٤٨هـ/٧٥٠-٨٦٣م)

دراسة تحليلية تاريخية

علي عناد عاشور

LLy766566@gmail.com

الملخَص:

بعد مضي أكثر من قرن على الهجرة النبوية الشريفة، وما عقبها من تبدل الاحوال السياسية باختفاء دولة بني أُمية وظهور دولة بني العباس، وما رافق ذلك من تبدَل في ديموغرافية الدولة الاسلامية بإضافة مجتمعات جديدة الى المجتمع العربي الاسلامي الاول، وما نتج عن ذلك من احتكاك فكري عنيف أفضى الى ظهور تيارات فكرية مذهبية وعقائدية جديدة، ثم تبدَل ثقافات بعاداتها وتقاليدها وظهور أُخرى جديدة، ظلَت الرؤيا التنبؤية -التي احتلَلت مساحة أكبر من الغيبيات الاخرى- محافظةً على ارثها العقائدي، متجذَرة في تفكير المجتمعات الاسلامية على اختلاف طبقاتها، تلك المجتمعات التي أنصتت بخشوع لتفاصيل قصصها وصدق رسائلها التي تنوَعت بين التبشير تارة والتحذير تارة أُخرى.

مارست السلطة العباسية الجديدة على رعاياها نوعاً من انواع الاقناع السياسي المبني على أسس غيبية(عن قصد أو دون قصد) مستغلة بذلك ما في المجتمع من قداسة للغيبيات بشكل عام وللرؤيا بشكل خاص فوظفوا رؤاهم توظيفاً سياسياً، وتعاملوا معها على انها قدراً محتوماً لا سبيل للتشكيك في صحته، ومن هنا وجدت الكثير من رؤى خلفاء تلك الدولة طريقها الى تغيير بعض قرارات السلطة، بما ينسجم مع رسائل تلك الرؤى التي استقرت في بطون كتب التاريخ حتى تبقى شاهداً حياً على احداثه.

الكلمات المفتاحية: (الرؤيا، الدولة العباسية، انتقال السلطة، المذاهب الاسلامية، الفلسفة الإسلامي)

The vision and its impact on the movement of Islamic history from (132-248 AH / 750-863 AD) a historical analytical study

Ali Enad Ashour

Lly766566@gmail.com

Abstract:

After more than a century since the Hijra and the subsequent political changes with the disappearance of the Umayyad dynasty and the emergence of the Abbasid dynasty, accompanied by a demographic change in the Islamic state with the addition of new communities to the first Islamic Arab society, and resulting in intense intellectual interaction leading to the emergence of new ideological and doctrinal currents, and the transformation of cultures with their customs and

traditions, while prophetic visions - which occupied a larger space than other mysteries - remained faithful to their doctrinal heritage, deeply rooted in the thinking of Islamic societies of all classes, societies that listened with humility to the details of their stories and the truth of their messages, which varied between evangelization and warning.

The new Abbasid authority exercised a kind of political persuasion over its subjects, based on mystical foundations (intentionally or unintentionally), exploiting the sanctity of mysteries in general and visions in particular. They used their visions for political purposes and dealt with them as an inevitable fate that could not be questioned. Hence, many visions led the caliphs of that state to change some of their decisions in line with the messages of those visions that settled in the pages of history books, to remain a living witness to those events.

Keywords: (vision, Abbasid state, transfer of power, Islamic doctrines, Islamic philosophy).

المقدَمة:

في جوٍ مشحونٍ بالخوف والوجل والترقب كانت فيه الدولة الاموية تكافح بشدَة من أجل التغلب على مشاكلها المزمنة التي ازداد تعقيدها مع بداية القرن الثاني للهجرة، ظهرت الدعوة العباسية كحركة معارضة سياسية للدولة كتب لها النجاح من بين العديد من حركات المعارضة الاخرى، تلك الدعوة التي بدا على قادتها الغموض وعلى تفاصيلها الاولى الضبابية والابهام لما أملاه عليهم الضرف المبني على الكثير من الحيطة والحذر فضلاً عن المستقبل المجهول الذي ينتظر الجميع.

تمكنت الدعوة العباسية من ايجاد موطئ قدم لها في الشرق، ثم اخذت تُنقص أطراف الدولة الاموية حتى تمكنت في النهاية من اسقاطها سنة(١٣٢هـ-٧٥٠م)، وبدافع من رغبة عارمة للاحتفاظ بالسلطة سلك خلفاء بني العباس طرق شتى من أجل تدعيم سلطتهم الدينية والدنيوية في نظر محكوميهم للظهور امامهم برداء واحد للدين والدنيا وبانهم ولات الامر الذين اختارتهم السماء ولا سبيل للتشكيك في ذلك، وقد اتت سياستهم هذه أُكلها فانعكست ايجاباً على مدَة حكمهم الذي دام أكثر من خمسة قرون.

تناولت في بحثي هذا مدى تأثير الرؤيا على بعض أحداث التاريخ منذ بداية الدولة العباسية وحتى خلافة المنتصر، على اعتبار ان تلك المرحلة التاريخية من الدولة العباسية هي مرحلة الخلفاء الاقوياء المستقلين وان بدا تدخل الاتراك واضحاً في السلطة خلال خلافة المنتصر، الا انها تختلف عن المرحلة التي تلتَها وهي مرحلة فقدت فيها الخلافة استقلالها السياسي لصالح الاتراك والبويهيون والسلاجقة.

الرؤيا والدعوة العباسية:

من المعلوم ان الدولة العباسية قامت على أثر دعاية سرية اتخذت من حق بني هاشم الشرعي في الخلافة صيحتها السياسية (١) فقد كان العباسيون الذين خلفوا الامويون بالحكم يعرفون بالهاشمية وهذا الاسم يشير بوضوح الى هاشم وهو الجد الأعلى للعباس بن عبد المطلب الذي أُتخذ أساسا للادعاء بالسلطة وفق مبدأ الوراثة من الرسول(ص) المستندة الى القرآن (٢) الا ان لفظ الهاشمية اقتصر على ولد العباس بن عبد المطلب أي ان هذا اللفظ صار بعد مدة وجيزة يشير الى حزب سياسي طالب بالسلطة، وهو انشقاق صريح في صفوف الهاشميين(المطالبين بالسلطة) الذين كان اغلبهم ينحدر بطريقة غير مباشرة من صلب ابو طالب بن عبد المطلب الذين صار يطلق عليهم فيما بعد اسم الطالبيين. أن حداثة دخول العباسيين في المضمار التنافسي السلطوي المتنازع عليه أصلاً بين الامويين والطالبيين مع امتلاك كل طرف منهم مقبولية في نفوس مريديه جعل من العباسيين لأول وهلة يظهرون بمظهر الافلاس السياسي فكان لابد لهم من إيجاد جغرافيا بعيدة تصلح لغرس أفكارهم الجديدة فتوجهوا شرقاً بعيداً عن مناطق نفوذ كلا الحزبين المتنازعين، ومن هناك بدئوا بتكوين نواةً لحزبهم المستجد الذي أخذ يكبر ويتسع مستفيداً من الظروف السياسية المعقَّدة التي كانت تمر بها الدولة الاموية آنذاك.

كان العباسيون بحاجة ماسَة الى تقوية موقفهم المطالب بالسلطة من خلال اقناع العامة بأنهم البديل الأفضل عن الامويين وكان ذلك لا يتم الا بتوظيف كل ما هو ممكن من الاستراتيجيات بما فيها الاستراتيجيات ذات الطابع الغيبي التنبؤي لما لها من قدرات خارقة في اقناع العوام وفضَ الجدل السياسي لصالحهم، تلك الغيبيات التي كانت من أفضل وسائل الإقناع لدى البشر على مرَ العصور والتي تعد الرؤيا من أفضلها لذا ظهر في تلك المرحلة العديد من الرؤى التي ارتبط وجودها مع بداية الدعوة العباسية، والتي وضَفت عمداً بغرض انجاح تلك الدعوة، لذا نجد ان العديد من المصادر التاريخية تناقلت رؤى متعددة في تلك المرحلة تدور حول هذا المعنى، ومنها رؤيا لعلي بن عبد الله بن عباس (٣) الذي رأى في النوم كأن بيتاً مشحوناً أفاعي وأن ثعباناً أسود خرج من تحت أم عبد الله بن علي فأكلها، فخرجت نارُ من تحت أم ابي جعفر فأحرقت الثعبان. فلما أصبح قصَ رؤياه فقال: تأويل رؤياي أن فلانه- يعني أم عبد الله- تلد مني من يقتل بني أمية، وتلد فلانة- ام ابي جعفر- من يملك السلطان فينازعه قاتل بني أمية فيقتله. ومنها ما أورده المسعودي (٤) في خبرا عن رؤيا لام المنصور قال فيه:" ذُكر عن سلامة أم المنصور أنها قالت: رأيت لما حملت بأبي جعفر(المصور) كأن أسداً خرج من قُبلي فأقعى وزأر وضرب بذنبه، فأقبلت اليه الأُسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه اسداً منها سجد له"..

كما أورد الخطيب البغدادي رواية (٥) عن ابي منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز (٦) بسنده عن محمد بن إبراهيم الامام (٧) الذي قال:" قال المنصور يوماً ونحن جلوسٌ عنده: أتذكرون رؤيا كنت رأيتها ونحن بالشراة؟ فقلنا: يا أمير المؤمنين ما نذكرها فغضب من ذلك وقال: كان ينبغي

لكم ان تثبتوها في الواح الذهب وتعلقوها في أعناق الصبيان. فقال عيسى بن علي: ان كنا قد قصَرنا في ذلك فنستغفر الله يا أمير المؤمنين فليحدثنا أمير المؤمنين بها. قال: نعم رأيت كأني في المسجد الحرام وكان رسول الله(ص) في الكعبة وبابها مفتوح والدرجة موضوعة وما أفقد أحد من الهاشميين ولا من القرشيين أذ منادٍ ينادي: أين عبد الله؟ فقام أخي أبو العباس فتخطى الناس حتى صار الى الدرجة فأخذ بيده فأدخل البيت فما لبث ان خرج الينا ومعه قناة عليه اللواء قدر أربعة أذرع وأرجح فرجع حتى خرج من باب المسجد، ثم نودي أين عبد الله؟ فقمت أنا وعبد الله بن علي نستبق حتى صرنا الى الدرجة فجلس فأُخذ بيدي فأُصعدت فأُدخلت الكعبة وإذا رسول الله (ص) ومعه أبو بكر وعمر وبلال فعقد لي وأوصاني بأمته وعممنني وكان كورها ثلاث وعشرين كورا وقال: خذها أليك أبا الخلفاء الى يوم القيامة"

وإذا أردنا التعليق على هذه الروايات لابد لنا من ربطها بما سبقها من أحداث، فالواقع ان فكرة الخلافة كانت قد اختمرت في ذهن أبو جعفر المنصور منذ زمن بعيد يرجع الى أيام الوليد بن عبد الملك الذي أمر بضرب جده علي بن عبد الله بن عباس والتشهير به لكونه أدعى ان الخلافة ستنتقل الى ولديه عبد الله بن محمد (السفاح) وعبد الله بن محمد (المنصور) وكانا في ذلك الوقت لا يزالان صغيران فقد أورد ابن عبد ربه رواية (٨) ذكر فيها حادثة ضرب علي بن عبد الله بن عباس بسنده عن محمد بن يزيد (٩) الذي قال: حدَّثني مَن رآه مَضروباً يُطاف به على بَعير ووجهُه مما يلي ذنَب البعير، وصائح يصيح عليه: هذا عليّ بن عبد الله الكذّاب. قال: فأتيتُه فقلتُ: ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكَذِب؟ قال: بلغهم أني أقول إن هذا الأمرَ سيكون في ولدي، والله ليكوننَّ فيهم حتى تملكَهم عبيدُهم الصغار العُيون، العِراض الوجوه، الذين كأنّ وجوههم المجانّ المُطرقة " كما أورد ابن عبد ربه رواية ثانية(١٠) قال فيها: " وفي حديث آخر: إن عليّ بن عبد الله دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابناه: أبو العباس وأبو جعفر، فشكا إليه ديناً لزمه، فقال له: كم دَينُك؟ قال: ثلاثون ألفاً، فأمر له بقضائه، فشكره عليه، وقال: وصلتَ رحماً، وأنا أريد أن تستوصي بابنيَّ هذين خيراً. قال: نعم. فلما تولّى، قال هشام لأصحابه: إن هذا الشيخَ قد أهْتَر وأَسنّ وخُولط، فصار يقول: إن هذا الأمر سينقل إلى ولده. فسمعه عليّ بن عبد الله بن العباس، فقال: والله ليكوننّ ذلك وليملكنّ ابناي هذان ما تملكه " وطبقا لهاتين الروايتين فان أبو جعفر لم يكن يجهل تماما أمر تلك الرؤيا ولا كانت مفاجئة له بل على العكس كان والحال كذلك كثيرا ما يحدث نفسه بشأن تلك النبوءة التي ورثها عن آبائه فقد أورد المبرد رواية غير مسنده (١١) قال فيها: فقد الخليفة علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس في وقت صلاة الظهر فسألَ عنهُ فقيلَ لهُ ولِدَ لهُ ولدُ ذكر فذهبَ اليه ليباركهُ ودعا بالرضيع فجاءَ بهِ ابوه يحمله فسماهُ علي وكناهُ بأبي الحسن ودعا لهُ ثمَ اعادهُ لوالده وقالَ خذ اليك ابا الاملاك . والذي يهمنا من هذهِ الرواية هو إخبارُ على ولو بشكلٍ مجمل عن قيامِ دولة بني العباس، ولكن الخبر الذي تداولتهُ الالسن عن علي بن عبد الله وولده كانَ أكثرُ تفصيلاً فمن اينَ علِمَ علي وبني امية بذلك (١٢). أورد ابن ابي الحديد توضيحاً لهذه المسألة ذكر فيه (١٣) انهُ سألَ ابا جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد (١٤) عن اي طريقٍ عرفَ بنو العباس وبنو أمية ذلكَ الخبر؟ فأجابَ عن محمد بن الحنفية وابنهِ عبد الله

أبا هاشم (١٥)، ثمَ شرحَ لهُ كيفية ذلك. اذاً كان الامام علي بن ابي طالب هو اساس ذلكَ الخبر ولاشكَ من انهُ اخذهُ عن النبي محمد (ص) الذي لا ينطقُ عن الهوى مما يعطي انطباعاً عاماً من انَ هذا الامر واقعُ لا محالة وهذا ما عكّرَ صفو العلاقة بين الخليفة الوليد و قريبه علي بن عبد الله بن عباس بشكلٍ ادى الى ضرب الاخير والتشهير بهِ. الاَ ان ثمَة اشكالٍ يُطرح هنا وهو لماذا اكتفى الخليفة الوليد بن عبد الملك بضرب علي بن عبد الله والتشهير به دون قتله فالمعروف عن بني أمية عدم تهاونهم مع تهمة من العيار الثقيل كهذه خاصة وان صاحبها هو شخص من بني هاشم. اي انها تهمة مضاعفة، ولعلَ ما شفعَ لعلي وحوَل عقوبته من القتل الى الضرب والتشهير هو مكانتهُ من عبد الملك أبو الوليد ومكانهُ من دمشق ذلكَ ان مكانهِ في الشراة (١٦) القريبة من دمشق يجعل جميع حركاته وسكناته على مرأ ومسمع من السلطة، ولكن هناك سببا آخر أنقذ علي وولديه من القتل فقد أورد البلاذري رواية (١٧) قد تزيل ذلك الغموض فذكر ان الوليد كانَ ينتقصُ من علي بن عبد الله ويشتمه فرأى اباه عبد الملك في منامه يقول: يا بني ما تريد من علي بن عبد الله فقد ظلمته والله لا يبتز امركم ولا يسلب ملككم الا ولده. فأزداد بذلك بغضاً لهُ وحنقاً عليه فلما ضربهُ كتبَ الى الافاق يُشنِع عليه. وهنا تدخلت الرؤيا مرة أخرى لحرف مسار التاريخ بإنقاذها علي بن عبد الله وولديه من فتك الخليفة ليكون له ولولده من بعده حزنا أي ان تلك الرؤيا بدَلت عقوبة علي من القتل الى الضرب والتشهير.

ان الجانب الغيبي الكبير الذي اشتملت عليه تلك الروايات ظهر وكانهُ الموجه الحقيقي للأحداث فمن المعروف ان الناس فُتنت بحب الغيب والاستكثار منهُ، والتصديق به دون فرق في ذلك بين سيد او عبد ولكن كيفَ تسنى لأبي جعفر المنصور الاستفادة من ذلك وتوجيهه بما يتفق مع مصلحته العليا وهو الاحتفاظ بالسلطة؟ من المعروف للجميع ان العباسيين أكَدوا منذ توليهم السلطة على قرابتهم من رسول الله(ص) وظهر ذلك بشكل جلي في خطبة أبو العباس في الكوفة عند توليه الخلافة حيث قال ما نصَه:" وخصنا الله برحم رسول الله(ص)... وانبتنا من شجرته... وأنزل بذلك كتابا فقال فيه ((قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى)) قاصدا بذلك أن الله فرض على المسلمين بأن يرثه أقربائه بدليل تلك الآية (١٨) وقد بثوا هذه الآراء كثيرا في دعاياتهم، كما أكَدوا للناس ان الله جعل انتقال الحكم الى اولي الفضل من عصبة الانبياء بعدهم كالمكافئة لهم وأنه فرض على المسلمين طاعة آل البيت دون ان يطلب النبي(ص) ذلك(١٩) اذا فقد اعتمد العباسيون منذ البداية على احاطة أنفسهم بهالة قدسية تجعلهم فوق مستوى محكوميهم موظفين لأجل ذللك ما تيسر من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية (بعد لوي عنان فهمها) التي لها علاقة باستحقاقهم للسلطة و ليس لمحكوميهم خيار غير تقبَل تلك الحكومة، ثم يأتي دور رؤيا ام المنصور التي تعد اشاره أولية صريحة على تتويج ابو جعفر سيداً ليس على قومه وحسب بل على عامة الناس بدليل زئيره الذي يصدح جالباً له بقية الأُسد التي سجدت بين يديه وهذا تصريح واضح وصريح على عالمية دعوته التي يجب التمهيد لها بتهيئة اذهان السامعين طلباً للرياسة. اما رؤيا المنصور التي كانت بمثابة هدية من السماء(ان صح حدوثها) لتنطبق كليا وتنسجم بشكل رهيب مع مبدئه في نظرية الحق المطلق في السلطة ولعله فرح بتلك الرؤيا أيما فرح لدرجة انه وبخ من كان جالسا بحضرته من عدم تدوين رؤياه على اللواح الذهب

وتعليقها كقلائد في أعناق الصبيان أي ان تلك الرؤيا قدَر لها ان تكون أداة دعائية لأقناع محكوميه بأنه تم اختياره من السماء دون غيره من مناوئيه من اتباع المذاهب السياسية الأخرى.

وما دمنا بصدد الحديث عن الدعوة العباسية فلا مناص هنا من ان نذكر رؤيا أخرى لأبي مسلم الخراساني تندرج ضمن هذا المضمون لكنها تختلف عنه بشيء يسير فقد أورد ابن الاثير رواية (٢٠) قال فيها" ... وقد كان أبو مسلم رأى رؤيا قبل ذلك استدل بها على ملك خراسان فظهر أمرها فلما ورد نيسابور نزل بنوباذ وكانت عامرة فتحدث صاحب الخان الذي نزله أبو مسلم بذلك وقال ان هذا يزعم انه سيلي خراسان. فخرج أبو مسلم لبعض حاجته فعمد بعض المجان فقطع ذنب حماره فلما عاد قال لصاحب الخان: من فعل هذا بحماري؟ قال: لا أدري. قال: ما اسم هذه المحلة؟ قال: بنوباذ. قال: ان لم اصيرها كندا باذ فلست بأبي مسلم. فلما ولي خراسان أخربها" تعد هذه الرواية على جانب كبير من الأهمية لكونها تطرقت ولو بشكل خفي الى شخصية أبو مسلم وما كان عليه قبل اضطلاعه بأمور الدعوة، فهناك ضبابية تامه تحيط بأصل هذا الرجل الذي يعد صاحب الفضل الأكبر على ولد العباس، وعلى الرغم من المصادر المكتشفة حديثا فان المرء لا يسعه الا القول بأن نسب ابي مسلم الخراساني لا يمكن تقريره بصورة قطعية من المصادر الإسلامية (٢١) لكن يمكننا القول بان هناك احتمال كبير من ان هذا الرجل كان من أصل وضيع بدليل أنه لم يصرَح اطلاقا عن أصله (٢٢)، كما ان في الرواية ما يؤيد ذلك وهو استهجان من كان موجوداً في الخان وتهكمهم عليه حتى وصل بهم الحال الى العبث بحماره، وبعودتنا الى أمر تلك الرؤيا وتحليلها نجد انها تتكون من شطرين الأول: هو أن أبا مسلم رأى رؤيا في المنام أستدل بها على ملك خراسان، اما الشطر الثاني: فهو أنه توعد بتخريب بنوباذ ان تحققت رؤياه، وهذا التوعَد يوحي لنا بأن الرجل كان جازما بتحقق رؤياه بغض النظر عن الطريقة التي اوصلته الى ذاك اليقين، لذا فمن الراجح جدا ان تكون تلك الرؤيا سببا مباشرا لجعل هذا الرجل واثقا من خطواته (زمن بداية الدعوة) شديد الايمان بها مما انعكس إيجابا على مصير الدعوة وحتمية نجاحها. والغريب ان نهاية المنصور العباسي تنبأت بها الرؤيا فقد اورد الطبري رواية (٢٣) عن الهيثم بن عدي عن الربيع أنه قال:" ان المنصور رأى في حجته التي مات فيها وهو بالعذيب - أو غيره من منازل طريق مكة – رؤيا - وكان الربيع عديله - وفزع منها وقال: يا ربيع ما أحسبني الا ميتا في وجهي هذا وأنك تؤكد البيعة لابي عبد الله المهدي، قال الربيع: فقلت له: بل يبقيك الله يا امير المؤمنين، ويبلغ ابو عبد الله محبتك في حياتك انشاء الله. قال: وثقل عند ذلك وهو يقول بادر بي الى حرم ربي وأمنه، هاربا من ذنوبي واسرافي على نفسي، فلم يزل على ذلك حتى بلغ بئر ميمون، فقلت له هذه بئر ميمون، وقد دخلت الحرم، فقال: الحمد لله وقضى من يومه وهذه الرؤيا تشبه الى حدٍ بعيد رؤيا لولده المهدي أوردها المسعودي(٢٤) فقال:" وقال علي بن يقطين: كنا مع المهدي بماسبذان، فقال لي يوماً: اصبحت جائعاً فاتني بأرغفة ولحم بارد، ففعلت ودخل البهو ونام، وكنا نحن في الرواق، فانتبهنا لبكائه، فبادرنا اليه مسرعين ، فقال: اما رأيتم م رأيت؟ قلنا ما رأينا شيئاً، قال: وقف علي رجل لو كان في الف ما خفي علي صوته فقال:

كأني بهذا القصر باد أهله وأوحش منه ربعه ومنازله

وصار عميد القوم من بعد بهجةٍ وملك الى قبرٍ عليه جنادله

فلم يبق الا ذكره وحديثه تنادي عليه معولات حلائله

قال: فما أتت على المهدي بعد رؤياه الا عشرة أيام حتى توفي.

ورؤيةً أخرى لولده هارون الرشيد ذكرها ابن الاثير(٢٥) فقال:" قال جبرائيل بن بخت يشوع: كنت مع الرشيد بالرَقة وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة أتعرَف حاله في ليلته، يحدثني وينبسط الي، وسألني عن أخبار العامة، فدخلت عليه يوماً فسلمت عليه، فلم يكد يرفع طرفه، ورأيته عابساً مفكَراً مهموماً، فوقفت مليَاً من النهار وهو على تلك الحال، فلما طال ذلك أقدمت فسألته عن حاله، وما سببه، فقال: ان فكري وهمَي لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه قد أفزعتني، وملأت صدري، فقلت: فرَجت عني يا أمير المؤمنين، ثم قبَلت يده ورجله، وقلت: الرؤيا انما تكون لخاطرٍ أو بخاراتٍ رديَةٍ، وتهاويل السوداء وهي أضغاث أحلامٍ. قال: فاني أقصَها عليك، رأيت كأني جالسٌ على سريري هذا، اذ بدت من تحتي ذراعٌ اعرفها، وكفٌ أعرفها، لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكف تربةٌ حمراء. فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تدفن فيها، فقلت: وأين هذه التربة؟ قال: طوس، وغابت اليد وانقطع الكلام .... فأمرته باللهو والانبساط، ففعل ونسينا الرؤيا، وطالت الايام. ثم سار الى خراسان لحرب رافعٍ، فلما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلَة، فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس، فبينا هو يمرَض في بستَان في ذلك القصر الذي هو فيه، اذ ذكر تلك الرؤيا ، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط، فاجتمعنا نسأله، فقال: اتذكر رؤيا بالرقة في طوس؟ ثم رفع رأسه الى مسرور فقال: جئني من تربة هذا البستان! فأتاه بها في كفَه حاسراً عن ذراعه، فلما نظر اليه قال: هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي، وهذه الكف بعينها، وهذه التربة الحمراء ما خرمت شيئاً. وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بعد ثلاثةٍ."

تتشابه تلك الرؤى فيما بينها بكونها تنبأت بنهايةً أجل كل خليفة من الخلفاء الثلاثة بطريقة تثير الدهشة، والغريب في الامر ان مثل هذه الرؤى لم نكن نجدها في المادة التاريخية لخلفاء الدولة الاموية التي قدَمتها نفس المصادر، اي ان هناك اختلاف جوهري في الطرح اشارت اليه تلك المصادر ولو من طرف خفي بتدخَل جوانب غيبية خلال المسيرة التاريخية التي قطعتها الدولة العباسية بشكل يميزها عن الدولة الاموية التي سبقتها، وللإجابة على هذا الاشكال نفترض ان هناك ثلاث احتمالات الاول: عدم اكتراث خلفاء بني أمية بالرؤى، وهذا ما يضعنا أمام الاعتقاد بأن الجوانب الغيبية بشكل عام والرؤيا بشكل خاص لم يكن لها رصيداً كافياً من القداسة آنذاك. الثاني: الاهمال المتعمد أو غير المتعمَد من قبل الروات والمؤرخين في نقلهم لروايات تاريخية مشابهة تحدثت عن وجود تدخَل غيبي من اي نوع كان (رؤيا او غيرها) بتوجيه حكم اي خليفة من خلفاء الدولة الاموية اما لعدم ملائمته لروح العصر، أو لكون تلك الروايات ضاعت في زحمة الاحداث

التاريخية الكبيرة الاهم منها والثالث: هو وجود توجه عام أملته الثقافة الاجتماعية بوجود قداسة تحوم حول خلفاء الدولة العباسية بصفتهم اصحاب الحق الشرعي كونهم أقرباء النبي(ص)، فكل ما يصدر عنهم أو ينزل بهم فهو مقدَس، وبالتالي فأن هذه الرؤى تعد مهمة للغاية كونها تمكننا من تحسس المستوى الثقافي العام السائد في المجتمعات الاسلامية آنذاك من جهة، كما انها تمكننا من التعرف على وجهة نظر تلك المجتمعات بالسلطة الحاكمة المهيمنة عليهم من جهة اخرى.

الرؤيا وانتقال السلطة في الدولة العباسية:

تطرقنا فيما سبق الى الحال التي كان عليها المنصور لما رأى الرؤيا التي استدل بها عن قرب وفاته حيث أنه بادر الى توثيق الامر لولده المهدي كخليفة من بعده، لكن الحال لم يكن كذلك لغيره من الخلفاء ومنهم ولده المهدي الذي كان لرؤياه النصيب الاوفر في وقوع الخلاف والفرقة بين ولديه الهادي والرشيد، فقد أورد الطبري روايةً (٢٦) عن محمد بن القاسم بن الربيع (٢٧) قال:" اخبرني محمد بن عمرو الرومي (٢٨) قال: حدَثني أبي، قال: جلس موسى الهادي بعد ما ملك في أول خلافته جلوساً خاصاً، ...، فبينا هو كذلك، اذ دخل صالح صاحب المصلَى فقال: هارون بن المهدي، فقال ائذن له، فدخل فسلم عليه وقبَل يديه وجلس عن يمينه بعيداً من ناحية، فاطرق موسى ينظر اليه، وادمن ذلك، ثم التفت اليه فقال: يا هارون كأني بك تحدَث نفسك بتمام الرؤيا، وتؤمل ما أنت منه بعيد، ودون ذلك خرط القتاد، تؤمل الخلافة قال: فبرك هارون على ركبتيه وقال: يا موسى انك ان تجبَرت وضعت، وان تواضعت رفعت وان ظلمت ختلت واني لأرجو ان يفضي الامر الي فأنصف من ظلمت وأصل من قطعت وأصيَر اولادك اعلى من أولادي وأزوجهم بناتي وأبلغ ما يجب من حق المهدي، قال: فقال له موسى: ذلك الظن بك يا أبا جعفر، ادن مني، ادن مني فدنا منه فقبَل يديه ثم ذهب ليعود الى مجلسه، فقال له: لا والشيخ الجليل، والملك النبيل – اعني أباك المنصور- لا جلست الا معي واجلسه في صدر المجلس معه، ثم قال: يا خزَاني: احمل الى أخي الساعة الف الف دينار، واذا افتتح الخراج فاحمل اليه النصف منه، واعرض عليه ما في الخزائن من مالنا وما اخذ من اهل بيت اللعنة فيأخذ جميع م أراد، قال: ففعل ذلك ولما قام قال لصالح: ادن دابته الى البساط. قال عمرو الرومي: وكان هارون يأنس بي، فقمت اليه فقلت: يا سيدي ما الرؤيا التي قال لك أمير المؤمنين؟ قال: قال المهدي رأيت في منامي كأني دفعت الى موسى قضيباً والى هارون قضيباً فأورق من قضيب موسى أعلاه قليلاً، فأما هارون فأورق قضيبه من أوله الى آخره فدعا المهدي الحكم بن موسى الضمري – وكان يكنى أبا سفيان – فقال له: عبَر هذه الرؤيا، فقال: يملكان جميعاً، فأما موسى فتقل أيامه، وأما هارون فيبلغ مدى ما عاش خليفة، وتكون أيامه أحسن أيام ودهره أحسن دهر قال: ولم يلبث الا اياماً يسيرة ثم اعتل موسى ومات وكانت علَته ثلاثة أيام ... "

ومن خلال الاستقراء الاولي لهذه الرواية بإمكاننا التعرَف على المساحة الكبيرة التي احتلتَها الرؤيا في عقول الناس آنذاك لدرجة انها صارت ضرباً من ضروب الواقع، فوقوع الوحشة بين الاخوين - بسبب رؤيا ابيهم من قبل - التي ربما تفضي الى وقوع امر لا يحمد عقباه فانقياد موسى

الهادي التام للأوهام التي تساوره وازاحة أخيه بشكل نهائي من ولاية العهد صار امراً واقعاً، لولا حكمة هارون التي منعته من ذلك، لكن هذه الحادثة لم تمر مرَ الكرام فالعبارة الأخيرة من الرواية (ثم اعتلَ موسى ومات وكانت علّته ثلاثة أيام) تشي بان شيء جرى في الخفاء لتعجيل نتيجة تلك الرؤيا كما ان الخليفة المغدور لم يكن هو الآخر بريئاً من تغيير مسار الخلافة التي رسمها المهدي لولده ، فقد أورد الطبري رواية غير مسنده شرح فيها حقيقة ما كان يجري، قال فيها(٢٩):" وذُكر ان الهادي كان قد خرج الى الحديثة، حديثة الموصل، فمرض بها واشتدَ مرضه، فانصرف. فذكر عمرو اليشكري – وكان في الخدم – قال: انصرف الهادي من الحديثة بعد ما كتب الى جميع عمّاله شرقاً وغرباً بالقدوم عليه، فلما ثقُل اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه فقالوا: ان صار الامر الى يحيى قتلنا ولم يستبقنا، فتآمروا على ان يذهب بعضهم الى يحيى بأمر الهادي فيضرب عنقه. ثم قالوا: لعلَ أمير المؤمنين يفيق من مرضه فما عذرنا عنده فأمسكوا. ثم بعثت الخيزران الى يحيى تعلمه بان الرجل لمآبه وتأمره بالاستعداد لما ينبغي، وكانت المستولية على أمر الرشيد وتدبير الخلافة الى ان هلك فأُحضر الكتّاب وجُمعوا في منزل الفضل بن يحيى، فكتبوا لليلتهم كتباً من الرشيد الى العمّال بوفاة الهادي وانهم قد ولاهم الرشيد ما كانوا يلون، فلما مات الهادي أنفذوها على البُرد."

وطبقاً لهذه الرواية وروايات أُخرى ذُكرت في السياق نفسه لم نوردها خشية الاطالة فان المسؤول الأول عن قتل الخليفة الشاب هي ام أخيه الخيزران وهذه حقيقة تاريخية لا يمكن اخفائها بقي لنا ان نعرَج على مسألة غاية بالأهمية وهي: ما سبب الجزم بحتمية تحقق رؤيا المهدي؟ وللإجابة على ذلك يجدر بنا التنويه على ان التغيير الذي طرأ على نظام الخلافة بعد انتقالها للعباسيين حيث دأب العباسيون منذ اليوم الأول لتسلمهم هذا المنصب التأكيد على البعد الديني للخلافة باتباعهم منظومة فكرية قائمة على أساس تقديس هذا المنصب باعتباره شيء منزَل من السماء لأفراد معينون تم اختيارهم بحكمة اللاهية، اما العامة فليس لهم الا المبايعة على الولاء والطاعة (٣٠) وليس أدلَ على ذلك الا لفظ (الامام) الذي يعد تجسيداً لذلك البعد الى حد بعيد. وبمناسبة الحديث عن الخليفة المهدي فقد كان هذا الخليفة يؤمن ايماناً مطلقاً بالرؤيا ومن ذاك ما أورده ابن عبدربه (٣١) من ان المهدي اتهم شريك القاضي ببغضه له لرؤيا رآها فيه وقد كان شريك صارفاً وجهه عن الخليفة ولولا لبابة القاضي وسرعة بداهته لناله من الخليفة ما لا يحمد عقباه، فاذا كان راس السلطة في الدولة آنذاك تتقلّب سياسته بسبب رؤيا فما بالك بعامة الناس وبسطائهم، ولسنا هنا بصدد نقد جهة معينة أو اصدار حكماً اخلاقياً على فئة دون أُخرى، ولكن لتبيان المستوى العام للمجتمع الإسلامي برمته الذي كان يقدَس الرؤيا ويسير بهديها.

لم ينته الامر عند هذا الحد فقد كان للرؤيا كذلك حضوراً قوياً في انتقال السلطة من الخليفة الواثق الى المتوكل، حيث أورد الطبري رواية (٣٢) عن سعيد الصغير(٣٣):" ان المتوكل قبل ان يستخلف ذكر له ولجماعة معه انه رأى في المنام أن سكراً سليمانياً يسقط عليه من السماء، مكتوباً عليه جعفر المتوكل على الله، فعبَرها علينا، فقلنا: هي والله أيها الأمير أعزك الله الخلافة، قال: وبلغ الواثق ذلك فحبسه، وحبس سعيداً معه، وضيَق على جعفر بسبب ذلك" ولعل الخليفة الواثق أراد من

وراء هذا الاجراء هو حجب المتوكل عن عامة الناس حتى لا يتسرب اليهم أمر تلك الرؤيا فتغدوا فتنة يرجف فيها المرجفون، أي ان الخليفة ارتاع من أمر تلك الرؤيا لدرجة انه قرر حجبها عن العامة لعلمه التام بانها ستشكل خطراً على منصبه وهذا الحدث بالذات يضع بين ايدينا دليلاً قاطعاً على ان العامة في ذلك العصر كانوا جازمين بقداسة احلام أو رؤى خلفاء بني العباس وذويهم حتى تعاملوا معها على انها جزءً مقتطعاً من الغيب.

اما الانتقال الدامي للسلطة من المتوكل الى ولده المنتصر فقد تدخَلت الرؤيا في هندسة نهايته، ومن ذاك ما رواه الطبري في رواية(٣٤) عن يسر الخادم الذي كان يتولى بيت المال للمنتصر من ان المنتصر كان قد رأى رؤيا في منامه فانتبه وهو يبكي وينتحب فلما سأله أحد خواصه عن سبب ذلك قال المنتصر:" رأيت فيما يرى النائم كأن المتوكل قد جاءني فقال لي: ويلك يا محمد قتلتني وظلمتني وغبنتني في خلافتي والله لا تمتعت بها بعدي الا اياماً يسيرة ثم مصيرك الى النار فانتبهت ولا املك عيني ولا جزعي". ثم أورد الطبري رواية (٣٥) اخرى اهم من الرواية السابقة و مفادها:" ان المنتصر لما أفضت الخلافة اليه كان يكثر إذا سكر قتل ابيه المتوكل ويقول في الاتراك: هؤلاء قتلة الخلفاء، ويذكر في ذلك ما تخوفوه فجعلوا لخادم له ثلاثين ألف دينار على ان يحتال في سمه". ولو أردنا ان نربط بين تلك الاحداث لاستطعنا الخروج بنتيجة مفادها بان الاتراك وهم عماد الدولة والمسؤولون عن قتل الخليفة المتوكل كانوا مرتابون جداً فيما اقترفوه من ذنب لقتلهم الخليفة لكونهم يدركون تماماً ان الخليفة الجديد سينقلب عليهم في يوم من الأيام بدليل انهم دسَوا له أحد الخدم كي يحتال في سمه لكنهم كانوا بحاجة الى علامة حتى يبدئوا ذلك وهذا بالضبط ما وفرَته لهم الرؤيا والذي يجعلنا نجزم بحتمية ذلك هو ان الجند الاتراك كانوا كغيرهم من عامة الناس يقدَسون الرؤيا بشكل لا يصدَق ومن ذلك ما رواه المسعودي عن بغا الكبير بقوله عن بغا (٣٦) :" رأيت في نومي النبي(ص) ومعه جماعة من أصحابه فقال لي: يا بُغا أحسنت الى رجل من امتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك، قال: فقلت يا رسول الله ومن ذلك الرجل؟ قال: الذي خلَصته من السباع، فقلت: يا رسول الله سل ربك أن يطيل عمري، فرفع يديه نحو السماء وقال: اللهم أطل عمره، وأتم أجله، فقلت: يا رسول الله خمس وتسعون سنة، فقال رجل كان بين يديه: ويوقَى من الآفات، فقلت للرجل: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فاستيقظت من النوم وانا أقول: علي بن أبي طالب." ثمَ اتم روايته بذكر حال ذلك الرجل وكيف خلَصه بغا من عقوبة المعتصم له برميه الى السباع لكونه رُمي ببدعة ولأجل تلك الرؤيا التي رآها بغا كان لا يلبس على بدنه شيئاً من الحديد من درع أو ما شابه، كما ذكر المسعودي (٣٧) ان وفاته كانت سنة ثمان وأربعين ومائتين وكان عمره قد تجاوز التسعين سنة كما انه باشر الحروب بنفسه مالم يباشرها أحد غيره فما أصابته جراحة قط فيخرج منها سالماً ويقول:" الأجل جوشن".

ونخلص من جميع ذلك ان بغا كان له مع الرؤيا علاقة وطيدة فرسالتها له خلقت منه بطلاً مقداماً يلقي نفسه في أتون الوغى دون خوف او وجل لاقتناعه التام بانه محصَن من ان يصيبه أي مكروه بسبب تلك الرؤيا، وبالعودة الى الروايات السابقة وبعد الربط بينها نستطيع القول، بان جريمة

قتل المتوكل المدويَة التي نفذها جماعةً من الاتراك بأمر ولده محمد المنتصر كانت الأولى من نوعها بشكل جعل الاتراك ينقسمون على نفسهم بين مؤيد لها ورافض ويقيناً كان بغا الكبير من بين الرافضين لكونه لم يكن موجوداً حين تم ذلك الامر(٣٨) والذي يدعونا للجزم بذلك امران الأول: مكانته من الخليفة المتوكل بوصفه من كبار قادة الجند في الدولة كما لم تسجَل كتب التاريخ أي تنافر كان بينه وبين الخليفة، والثاني: وصف بعض المؤرخين لبغا بأنه كان ديَناً من بين الاتراك (٣٩) وهذا التديَن كافياً بأن يجعله خارج دائرة الاتهام، يضاف الى ذلك ان بغا الكبير لم يكن موجوداً عند قتل الخليفة المتوكل(٤٠)، فقد كان مرابطاً بسمبساط (٤١) لكنه كان موجوداً عند وفاة الخليفة المنتصر، فقد ذكرنا سابقاً ان طريقة تحييد المتوكل عن الخلافة عارضها جماعة من الاتراك وكان من بينهم بغا الكبير لمكانته من الخليفة المتوكل فضلاً عن تدينه كما اسلفنا، وهذه الصفات كافية لان تكون سبباً ودافعاً للتخلص من الخليفة المنتصر الذي انقسم الاتراك في حكمهم عليه بين متخوَفٍ منه لاحتمال فتكه وناقمٍ عليه لقبيح فعلته ولا شك ان بغا الكبير كان مع الفريق الثاني، ثم تأتي رؤيا المنتصر التي عدَها الطرفان بانها رسالة من السماء للتخلَص منه فأعطت بذلك الضوء الأخضر لكلا الفريقين بالتحرك والاحتيال لوضع نهايةً لحياته، تلك النهاية التي فتحت الباب على مصراعيه لتحكم الاتراك وتلاعبهم بالسلطة، لذا فان تلك الرؤيا تنطوي على جانب كبير من الأهمية فقد كان لها الأثر الأكبر في تغيير مجريات الاحداث، ليس هذا وحسب بل انها غيَرت مركز القرار في الدولة فنقلته من شخص الخليفة ووزيره الى ضباط جندهم من الاتراك. وليس أدلَ على ذلك سوى ظهور بغا الكبير فجأة على مسرح الاحداث في اليوم التالي لموت الخليفة الغامض واستحلاف باقي الجند وكبار موظفي الدولة بأن يرضوا بما يرضا به بغا الصغير وبغا الكبير(٤٢) .

الرؤيا والمذاهب الإسلامية:

كان لتطور الحياة العامة وتشعَب الوانها وتعقَّد جوانبها الناتج أصلا عن تطور الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية التي مرَت بها المجتمعات الإسلامية فضلا عن الابتعاد الزمني عن بداية عصر الإسلام اثراً كبيراً في تطور الفكر الإسلامي وتعدد مذاهبه بسبب اختلاف وجهات النظر بتفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فظر نتيجة ذلك العديد من المدارس الفقهية التي كان لضهورها دوافع شتى من بينها الرؤيا، فقد أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (٤٣)بسنده عن هشام بن مهران (٤٤) انه قال:" رأى أبو حنيفة في النوم كأنه ينبش قبر النبي (ص) فبعث من يسأل له محمد بن سيرين، فقال محمد بن سيرين: من صاحب هذه الرؤيا؟ فلم يجبه عنها، ثم سأل الثانية، فقال مثل ذلك، ثم سأل الثالثة، فقال: صاحب هذه الرؤيا يثور علماً لم يسبقه اليه أحد قبله، قال هشام: فنظر أبو حنيفة وتكلَم حينئذ" ومن الواضح جداً للعيان المكانة الدينية التي بلغها هذا الرجل، فهو فقيه اهل العراق الذي اوجد مذهباً دينياً قائماً على الرأي أو القياس كما كان يعرف آنذاك والتقليل من الأثر وهو بذلك خالف بقية المذاهب (والقائمة على اساس التمسك بالأثر والتقليل من القياس وبغض النظر عن الخلافات والمناظرات الجدلية التي جرت بين مريدي تلك المذاهب آنذاك كما اننا لسنا بصدد اثبات المخالف من المتآلف فان أبا حنيفة كان يتمتع بجرئة عالية مكَنته من مخالفة الرأي العام وطرح نهجاً

فقهياً جديداً املته عليه جغرافية المنطقة التي يعيش فيها (الكوفة) فجعلت منها أرضاً تنطلق منها الجيوش باتجاه الشرق لاستكمال الفتح الإسلامي وبوتقة تنصهر فيها ثقافات الشرق والغرب، فكان لابد والحال هذه إيجاد نوعاً فقهياً قائماً على اساس التوازن الفكري يقف على مسافة واحدة من جميع التيارات الثقافية هناك، وهذا بالضبط ما لبَاه أبو حنيفة، الا ان الرجل أصابه تردد كبير في بداية امره ولعله كان يبحث عن اشاره غيبية تعطيه الضوء للمباشرة بذلك، وهذا بالضبط ما وفَرته عليه الرؤيا.

إنَّ الباحث بثقافة ذلك العصر والمتتبع لتفاصيل الحياة العامة فيه يدرك تماماً ان الايمان بالغيبيات بصورة عامة والرؤيا بشكل خاص كانت سمة بارزة يتساوى فيها الجميع ولا فرق في ذلك بين سيد او فرد عادي حرٌ كان ام عبد عربيٌ او غير عربي، من ذلك ما ذكره المسعودي في خبر (٤٥) عن عبد الله بن مالك الخزاعي (٤٦) وكان على دار الرشيد وشرطته الذي قال:" اتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك، فلما صرت الى الدار سبقني الخادم، فعرَ الرشيد خبري، فأذن في الدخول فدخلت، فوجدته قاعداً على فراشه، فسلمت فسكت ساعة، فطار عقلي وتضاعف الجزع، ثم قال لي: يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: انى رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربه فقال: ان لم تخلَ عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة، فاذهب فخل عنه، فقلت: يا امير المؤمنين: أطلق موسى بن جعفر؟ ثلاثاً، قال: نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: ان أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب، وان أحببت المضي الى المدينة فالإذن في ذلك اليك، قال: فمضيت الى الحبس لإخراجه، فلما رآني موسى وثب الي قائماً وضنَ إني أُمرت فيه بمكروه. فقلت: لا تخف، وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك، وان ادفع اليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: ان أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وان أحببت الانصراف فالأمر في ذلك مطلق اليك. واعطيته الثلاثين ألف درهم، وخليت سبيله، وقلت: لقد رأيت من أمرك عجاً، قال: فاني أخبرك: بينما أنا نائم اذ اتاني النبي(ص) فقال: يا موسى، حُبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فأنك لا تبيت هذه الليلة بالحبس، فقلت بأبي انت وامي ما أقول؟ قل يا سامع كل صوت، و يا سابق الفوت، و يا كاسي العظام لحماً ومُنشرها بعد الموت، اسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطَلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يُحصى عدداً، فرَج عني، فكان ما ترى". والحقيقة ان أمر هذه الرؤيا عجيبٌ جداً فهي رؤيا مزدوجة تراءت للأمام موسى (وهو الامام السابع عند الشيعة الامامية) والخليفة الرشيد في وقتٍ واحد وهذا أمر قلَ حدوثه، ولكن الأعجب منها هو عدم اتعاض الرشيد منها فالأولى له ان تكون هذه الرؤيا عبرةً له حتى لا يكرر العبث مع آل بيت النبي(ص) الا انه عاد وأمر باعتقال موسى الكاظم مرةً أُخرى ثم دسَ له السم فقتله (٤٧)، لذا فقد تعارضت هذه الرؤيا مع المصير الذي صار اليه الامام، أي ان تلك الرواية مضطربة لا تتفق مع ما آلت اليه الأمور فيما بعد، ولكن هذا الاضطراب يعود الى شخص الرشيد نفسه، فقد ذكرت بعض المصادر(٤٨) صفات للرشيد متضاربة ومتعاكسة لا يمكن ان تجتمع في قلبٍ واحد، وهذا الاضطراب في سلوك الخليفة قطعاً هو

المسؤول عن النهاية المأساوية التي حلَت بالإمام والتي لم تستطع حتى الرؤيا المرعبة التي تراءت للخليفة من تبديلها، لكنها في الطرف الآخر أفادت الامام موسى الكاظم بإعطائه مساحة زمنية استغلها في توثيق امر الامامة من بعده لولده علي هذا من جانب ومن جانب آخر فان اعتقاله الأول هيأ اذهان اتباعه ومريديه الى حتمية انقضاء أجله وطرح فكرة تحول الامامة من بعده الى خليفته الشرعي وهو ابنه علي بن موسى الرضا.

ان مسألة تعدد المذاهب الإسلامية واختلافها في طريقة استنباط الاحكام الشرعية تعد مسألة شائكة ومعقَدة للغاية، ذلك لان كل مذهب له طريقته في استحصال تلك الاحكام فمنها ما يعتمد على النقل فقط ولا يلجأ الى القياس الا عند الضرورة ومنها ما يعتمد على القياس مع شيءٍ من النقل، وهكذا دواليك، كما ان لكل مذهب طريقته الخاصة في التعامل مع الأمور الغيبية كالوحي والروح والبعث وعالم ما بعد الحساب، لكن الغريب ان بعض المذاهب كالصوفية اعتمدوا على بعض الغيبيات كالالهام والكشف والرؤيا كمصدر من مصادر التشريع ولعل الرؤيا من اهم تلك المصادر كونها تكون مقدمة على الالهام والكشف التي لا يستحصلها الولي الا باتباع رياضات روحية معقَدة، اما الرؤيا فلا يشترط فيها ذلك وهذا ما يفسر اهتمام الصوفية الخاص بالرؤيا، بل ان تأويل الرؤيا يعد من اهم واجبات مرشدي الصوفية قاطبة(٤٩)، ومن هنا نجد ان كتب الصوفية(٥٠) فاضت بالعديد من الغيبيات كالرؤى والكشف والالهام التي كان لها الأثر الأكبر في العديد من التشريعات لدى اتباع ذلك المذهب.

الرؤيا وبداية الفلسفة الاسلامية:

لم تكن الرؤيا بعيدة عن بداية ظهور الفلسفة الاسلامية فقد ذكر القفطي رواية (٥١) قال فيها:" حكى محمد بن اسحاق النديم في كتابه ان المأمون رأى في منامه ان رجلاً ابيض مشرباً بحمرة واسع الجبين مقرون الحاجبين أجلح الرأس اشهل العينين حسن الشمائل جالس على سريره، قال المأمون: وكأني بين يديه وقد ملئت له هيبة فقلت له من أنت فقال: أنا ارسطو طاليس، فسررت به وقلت ايها الحكيم اسألك! قال: سل، قلت ما الحسن؟ قال: ما حسن في العقل قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن في الشرع، فقلت: ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم، قلت: زدني فقال: من يصحبك في الذهب فليكن عندك كالذهب وعليك بالتوحيد، فلما استيقظ المأمون من منامه حدَثته نفسه وحثَته همَته على طلب كتب ارسطوطاليس فلم يجد منها شيئاً ببلاد الاسلام، قال غير ابن اسحاق فراسل المأمون ملك الروم وكان قد استطال عليه وأذلَ دين الكفر وطلب منه كتب الحكمة من كلام ارسطوطاليس.... فاستشار الراهب في تسييرها الى بلد الاسلام وعلى عليه في ذلك خطر في الدنيا أم اثم في الاخرى فقال له الراهب: سيَرها فانك تثاب عليه فإنها ما دخلت في ملَة الا وزلزلت قواعدها فسار الى البيت وفتحه ووجد الامر فيه كما ذكر الراهب ووجدوا فيه كتباً كثيرة فأخذوا من جانبها بغير علم ولا فحص خمسة احمال وسيَرت الى المأمون فأحضر لها المأمون المترجمين فاستخرجوها من الرومية الى العربية ... " من المعروف للجميع ان الحضارة اليونانية كانت حضارة معروفة بثراء محتواها العقلي فاليها

يرجع السبق بتأسيس اللبنات الاولى من التفكير العقلي الحر القائم على اساس النقد والتقويم للوصول الى غاية وجود الانسان في هذا الكون، ذلك التفكير الذي شجَع على ظهور العديد من العلوم الاخرى كالطب والهندسة والرياضيات وغيرها من العلوم التي سارت جنباً الى جنب مع التطور السياسي لليونان الذي حققته خلال مرحلة من مراحل التاريخ، الا ان تلك العلوم اندثرت بعد زوال اليونان عن مسرح الاحداث العالمية، فضاع معها مجهوداً بشرياً ضخماً من التفوق العلمي في شتى الميادين الفكرية بشكلٍ يصعب تعويضه، فكانت رؤيا المأمون بمثابة المعجزة التي انتشلت تلك الاسفار المنسية وأعادتها مرة أخرى الى حيّز النور عن طريق الترجمة والنقل من اليونانية الى العربية والطريف ان من بين تلك الكتب كان "كتاب تفسير الاحلام في التراث اليوناني القديم لارطميدورس الذي يذكر ان تأثيره قد تسلل بدرجة ما تفسيرات الاحلام في التراث الاسلامي(٥٢) ومن خلال هذه الرواية نكاد نجزم بأن انفتاح المسلمون في عهد المأمون الذي سبقه نضج عقلي كان على أهبة الاستعداد لقبول الفلسفة والمنطق وباقي العلوم اليونانية(٥٣) ثم انعكاس تلك العلوم على الحياة العامة في المجتمعات الاسلامية وما ظهر فيها من مذاهب فلسفية متعددة وما طوَره العرب من علوم الطب والهندسة والحساب والجبر وغيرها يعود جميعه بالفضل الى الرؤيا.

الهوامش:

١- الدوري، عبد العزيز دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت-٢٠٠٧، ص١٢ ٢

٢- - شعبان، محمد عبد الحي، الثورة العباسية، دار الدراسات الخليجية، (دم-د. ت)، ص٢٢٤

٣- أخبار الدولة العباسية، مؤلف من القرن الثالث الهجري، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة،(بيروت-١٣٩١ه)،ص ١٣٨

٤- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الانوار، ط١، (بيروت -٢٠٠٩م)،٢٣٣/٣

٥- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي(ت٤٦٣ه)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٣٧٣/١؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧ه)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت-١٤١٢ه/١٩٩٢م)، ٣٣٧/٧.

٦- هو الشيخ الجليل الثقة أبو منصور عبد الرحمن بن المحدث ابي غالب محمد بن عبد الواحد بن حسن بن منازل بن زريق الشيباني البغدادي القزاز، سمع أبا جعفر بن المسلمة وابا علي بن وشاح وعبد الصمد بن المأمون وأبا الحسن بن المهتدي بالله وطائفة وله مشيخة حدث عنه ابن عساكر والسمعاني وأبو موسى المديني وابن الجوزي وغيرهم، كان شيخا صالحا متوددا سليم القلب حسن الاخلاق مشتغلا بما يعنيه ولد سنة ثلاث وخمسين وأربع مائة ظنا وتوفي في الرابع عشر من شوال سنة خمس وثلاثين وخمسمائة كان صحيح السماع أثني عليه السمعاني وغيره؛

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت-١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)،٤/٦٩-٧٠. ٤-

٧- هو محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن العباس وهو ابن اخ أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور، ولم اعثر على ترجمة مستقلة له فيما تيسر لي من مصادر.

٨- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت -١٤٠٤هـ)، ٥/٣٦٠

٩- لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.

١٠- ابن عبد ربه، ٥/٣٦١.

١١- أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الازدي(ت٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والادب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٣، (القاهرة - ١٤١٧هـ)،٣/١٧

١٢- علي عناد عاشور، حركات المعارضة في الدولة العربية الإسلامية من خلال كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية جامعة القادسية،٢٠١٩م، ص٢٠٧

١٣- أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين(ت٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة،٧ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، (مصر-د. ت)، ٧/١٤٨-١٥٠

١٤- هو يحيى بن محمد بن محمد بن علي بن زيد العلوي الحسني نقيب الطالبيين بالبصرة بعد ابيه، كان شيخا فاضلا عالما بفنون كثيرة لاسيما الانساب وايام العرب واشعارها وكان من جلساء الخليفة الناصر توفي سنة ثلاث عشر وست مائة. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء،٢٠/٤٢٣

١٥- هو عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. كنيتهُ ابو هاشم. من اهل المدينة. يروي عن أبيه عن جده علي بن ابي طالب. اليهِ انتهت رياسة بعض الشيعة. ورثَ عن ابيه الصحيفة التي فيها اسماء نقباء الدعوة. كانَ ثقة صاحب علمٍ ورواية قليل الحديث. امهُ ام ولد تدعى نائلة. وفدَ على الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك الذي يتهمُ بانهُ سمه، فخرجَ منهُ، ونزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالحميمة فماتَ عندهُ. وقيلَ انهُ اوصى لهُ بالأمر من بعده. ينظر: ابن حبان، الثقات،٧/٢

١٦- الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول(ص) ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عياس بن عبد المطلب في أيام بني مروان. أنظر: الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ)، دار صادر، ط٢، (بيروت -١٩٩٥)، ٣ /٣٣٢

١٧- أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر بن داود، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، ط١، (بيروت- ١٤١٦هـ)،٣/٢٧٥

١٨- الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط، (بيروت- ٢٠٠٨م)، ص٤٥

١٩- نفسه، ص ٤٦
٢٠- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١(،٠بيروت - ١٩٩٧م)٢٨٠/٤
٢١- الطبري، تاريخ ١١٣/٨؛ ابن الجوزي، المنتظم،٨/ ٢٠٨؛ ابن الاثير، ١٩٤/٥

٢٢- للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: المسعودي،١٩٩/٣. وانضر أيضاً: فاروق عمر، الثورة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، (بغداد-١٩٨٨)، ص٨٦
٢٣- الطبري، ٢١٠/٨؛ المسعودي، ٢٧٣/٣
٢٤- مروج الذهب، المصدر السابق،٢٦٣/٣
٢٥- الكامل،٣٨٨/٥-٣٨٩
٢٦- لم اعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.
٢٧- وهو محمد بن عمرو: هو محمد بن المحدَث عمرو بن المحدَث عبد الله بن عبد الرحمن البصري، ويعرف عبد الله بالرومي، حدَ محمد عن: شعبة وشريك وابيه وغيرهم، مات سنة مئة وواحد وثلاثون عن سن عالية. انظر الذهبي:٤٢٠/١٠ – ٤٢١
٢٨- الطبري، ٢١٢/٨
٢٩- الدوري، النظم الإسلامية، ص٤٧
٣٠- العقد، ١٢٤/٤
٣١- الطبري،٢٥٢/٩
٣٢- نفسه،١٥٥/٩
٣٣- لم اعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.
٣٤- الطبري، المصدر السابق، ٢٥٢/٩
٣٥- نفسه،٢٥٢/٩
٣٦- مروج الذهب، المصدر السابق ،١٢٩/٤
٣٧- نفسه،١٢٩/٤
٣٨- الطبري، نفسه،٢٢٦/٩
٣٩- المسعودي، المصدر السابق،١٢٩/٤
٤٠- الطبري، المصدر السابق، ٢٢٦/٩
٤١- سمبساط، بضم اوله وفتح ثانيه مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها ويسكنها الأرمن. للاستزادة أنظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر ط٢، (بيروت – ١٩٩٥م)، ٢٥٨/٣
٤٢- الطبري، نفسه،٢٥٦/٩

٤٣- الخطيب البغدادي،٤٥٩/١٥

٤٤- لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.

٤٥- المسعودي، المصدر السابق، ٢٨٣/٣ ؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت.٦٨٠هـ)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، ط١، دار صادر(بيروت-١٩٩٤)، ٣٠٩/٥

٤٦- هو أبو محمد عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي ابوه مالك بن الهيثم من عرب خراسان ومن أوائل دعاة الثورة فيها تسلم عدة مناصب بعد نجاح الثورة كان آخرها ولاية الموصل حيث مات فيها، فانتقلت الحبوة الى ولده عبد الله فولاه أبو جعفر المنصور خراسان، ثم تقلب بالمناصب حتى كان على شرطة هارون الرشيد، توفي سنة اثنا عشر ومائتين. أنظر: الطبري، المصدر السابق،٢٣٣/٨؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت. ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تح: محب الدين أبو سعيد العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.م-١٩٩٥م)،٢٩٠/١٥

٤٧- قُبض الامام موسى بن جعفر ببغداد مسموماً لخمس عشر سنة خلت من حكم الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن أربع وخمسين سنة. المسعودي، المصدر السابق،٢٨٣/٣

٤٨- كان الخليفة هارون الرشيد سريع الدمعة إذا ذُكر الله يصَلُي في اليوم والليلة مئة ركعة كريماً جواداً، لكنه شديداً على الناس إذا غضب ظلوماً غشوماً يسرف في مجالسة المغنين والشعراء..... للاستزادة ينظر: المسعودي، المصدر السابق،٢٩٤/٣-٢٩٥؛ ابن لأثير، المصدر السابق،٣٨٨/٥ و٣٩٥

٤٩- شيمل، آنا ماري، أحلام الخليفة، الاحلام وتعبيرها في الثقافة الاسلامية، ترجمة: حسام الدين جمال بدر وآخرون، ط١، منشورات الجمل،(بغداد-٢٠٠٥م)،ص٢٥٧

٥٠- انظر: المكي، ابو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي(ت٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد، تح: عاصم ابراهيم الكيالي، ط٢، دار الكتب العلمية(بيروت٢٠٠٥)؛ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، تح : عبد الحليم محمود و محمود عبد الشريف، دار المعارف(القاهرة-د ت)، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد(ت٦٣٨هـ) الاعلام بإشارات اهل الالهام، ط١، (حيدرآباد-١٣٦٢هـ)

٥١- القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني(ت٦٤٦هـ)، تح: ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٥)،٣٠/١

٥٢- شيمل، المرجع السابق،ص٢٧

٥٣- السامرائي، قاسم، الاستشراق بين الموضوعية ولافتعاليه، ط١، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع،(الرياض-١٤٠٣هـ)، صـ٧٣